مجلة الترجمة واللغات المجلد 18 العدد02/2019، ص. 184-204
Revue de Traduction et Langues Journal of Translation and Languages
ر ت م د :1112-3974, ر ت م د إ 2600-6235

في مظاهر استجلاء المعنى في " الترجمة البحث "

About the Construction of Meaning through the "Curious Translation"

رياض بن عاشور
Ben Achour Riadh
جامعة قابس- تونس
University of Gabes-Tunisia
ilariadh@yahoo.fr
مخبر اللغة والمعالجة الآليّة
Laboratory of Automatic Language Treatement
University of Sfax (LLTA) - Tunisia
0000- 0002-9332-9563

تاريخ الاستلام: 2019;/05/10 تاريخ القبول: 2019/12/29 تاريخ النشر: 31 /12/2019

Abstract: *This attempt aims at further highlighting the angle of translation deflection, and hence the dilemma of change, which often occurs in the language of the target text as a result of the meaning of the text and the intention of the author of the original text, and taking into account the taste of the translation reader and its cultural environment. The views differed between those who view the amendment as a betrayal of the original text and those who believe that it is necessary to produce a text in which the statement and clarity of meaning achieve the principle of linguistic equivalence between this one and the original text. This difficult equation requires that we believe in the advantages of research in the work of translation.*
Keywords: *Equivalent; Meaning; Search; Statement; Translation.*

الملخص: تهدف هذه المحاولة إلى مزيد تسليط الضوء على زاوية انحراف مرآة الترجمة، ومن ثمّة على مُعضلة التغيير الذي غالبا ما يطرأ على لغة النصّ الهدف نتيجة استهداف المعنى وقصد كاتب النصّ الأصل من جهة، ومراعاة ذوق قارئ الترجمة وبيئته الثقافية من جهة أخرى. فاختلفت وجهات النظر بين من يرى في التعديل خيانة للنص الأصل، ومن يرى أنّه لا مناص من ذلك لإنتاج نص فيه من البيان ووُضوح المعنى ما به يتحقق مبدأ التكافؤ اللّغوي بينه وبين النصّ الأصل. وهذه المعادلة الصّعبة تستوجب في اعتقادنا الاستنجاد بمزايا البحث في عمل الترجمة.
الكلمات المفتاحية: بحث، بيان، ترجمة، تكافؤ، معنى.

المؤلف المرسل: رياض بن عاشور

1. مقدمة

إنّ السؤال الذي يروم هذا البحث النظر فيه هو طبيعة العلاقة بين النصّ الأصل والنصّ الهدف فيما يخص معادلات الترجمة من حيث التباين والتكافؤ. فالترجمة مطالبة أمام إشكالية انزياح المعنى إمّا بالالتزام بمبدأ الأمانة فتحرص على نقل النصّ الأصلي بأدق جزئياته أو تحابي النصّ الهدف وعندها فقط تبرز المفارقة بين التعامل الذاتي والتعامل الموضوعي في عمليّة الترجمة.

وعندئذ تتقلص مشروعيّة مبدأ "الأمانة" أمام فرضيات ومواقف في الترجمة مرشّحة للبلورة العمليّة والمقاربة النظريّة ومفادها أنّ التغيير في الشكل أي المرور من لغة إلى أخرى عند الترجمة لا يتمّ دون المساس بالصياغة اللّغوية ومن ثمّة بالمضمون و إن بشكل نسبي، "إنّ مفهوم الأمانة، كما يذهب إلى ذلك هشام بن شريف، يحتمل عدة معان مختلفة بحسب السياق وبحسب بعض المترجمين فإذا كان بالنسبة للبعض الترجمة الأمينة إنتاج نفس التعبير الأصلي فهي تعني للبعض الآخر التحرر من اللغة (الأصل) لتحديد عن قرب مقصد الكاتب أي رسالة النص"[1]. إنّ مسألة الأمانة والتصرّف (التّغيير في نصّ الترجمة) تُعدّ من المسائل الشائكة في قضايا الترجمة إذ أنّها لا تكاد تتبدّد حتى تطفو من جديد على السطح. سنحاول في هذه الدراسة مقاربة القضيّة من زاوية نظر مغايرة تجعل من عنصر "البحث" محدّدا رئيسيا في المواءمة بين طرفي المعادلة. للخوض في هذه الإشكالات والتعمق فيها سنتطرق في بحثنا الحالي، علاوة على التحليل التطبيقي، إلى ثلاثة عناصر أساسية متفاعلة في فهم عملية الترجمة وهي:

- تحديد المفاهيم.
- الترجمة البحث.
- مظاهر استجلاء المعنى عبر رصد "المتغيّر" في الترجمة.

2. تحديد المفاهيم

لا أحد ينكر أنّ وظيفة الترجمة هيّ أوّلا وأساسا التواصل بين مختلف الجماعات اللّغوية المتمايزة لغويا وثقافيا والمتباعدة جغرافيا وحضاريا. وهي ثانيا أداة لتبادل الخبرات والمعارف بين الشعوب والتعريف

[1] هشام بن شريف، المترجم بين الأمانة والخيانة، مجلة "الترجمة واللغات"، ***Traduction et Langues*** ، المجلد السابع، العدد الأول، ص. 115.

بالتراث الإنساني المادي واللاّمادي بين الأمم. هذا من حيث الوظيفة ولكن ما هي تعاريفها اللّغوية والاصطلاحيّة؟

1.2 ما الترجمة ؟

تُعد كلمة "ترجمة" من قبيل المشترك اللفظي فهي تعني التسمية والتفسير(الشرح) والتعريف (التراجم) وإظهار الكلام ونقله من لغة إلى أخرى[2] وقد تعني أيضا إيصال الكلام أي ترديده وتبليغه لمن لم يبلغه كما جاء على لسان الشاعر عَوف بن مُحلّم الخزُاعي (إنّ الثمانين – وبُلّغْتها- *** قد أحوجتْ سمعي إلى ترجُمان)[3]. ويمكن الاقتصار على معنيين وردا في تعريف لسان العرب لفعل "ترجم" وهما "التفسير" و"نقل الكلام من لغة إلى أخرى"، "ترجم" التُّرجُمانُ والتَّرْجَمان: المفسِّر للّسان. وفي حديث هِرَقْلَ: قال لتُرْجُمانه، الترجمان، بالضم والفتح: هو الذي يُتَرْجِم الكلام أَي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى، والجمع التَّراجِم،"[4].

كما يمكن اختزال هذين المعنيين بل وسائر معاني فعل "ترجم" في معنى واحد ألا وهو البيان. فإضافة إلى معنى التفسير ونقل الكلام من لغة إلى أخرى فقد أُطلقت كلمة "الترجمة" على كل ما فيه بيان، فقيل: ترجم لهذا الباب بكذا أي جعل له عنوانا يُبيّن ما تحته. وترجم للرّاوي أي بَيّن تاريخه وسيرته، هذا من حيث اللّغة. أمّا من حيث العُرف والاصطلاح فهي تعني "التّعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"[5].

[2] لمزيد التوسّع في المعاني التي ذكرناها لفعل "ترجم" والوقوف على سياقاتها المختلفة انظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ص. 31 وص. 704 وص. 1139 وكذلك رشدي حسن، "عوف بن ملحم الخزاعي: حياته وشعره"، ص. 14.

[3] بيت الشاعر العباسي عَوف بن مُحلّم الخُزاعي - ورد في رشدي حسن، "عوف بن مُحلّم الخزاعي: حياته وشعره "، ص.14.

[4] ابن منظور، لسان العرب، م12، ص. 66.

[5] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فؤاد أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ج 2، ص 91.

ويشترط في الترجمة التقيّد بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولذلك يتم فيها استيفاء جلّ الكلام المترجم والملاءمة بينه وبين المعنى الأصلي للنّص، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ التعاريف كثيرة كثرة المحاولات التي كُتبت في غرض الترجمة بل وقد تجاوزت حدود وضع التعاريف إلى محاولات مَفهمتها[6].

إنّ المقاربة الاصطلاحية لعمليّة الترجمة تبدو بسيطة في ظاهرها فهي مجرّد "التّعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى..."إلّا أنّها مُعقّدة في جوهرها لأنّها تقتضي" الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"، فكيف السّبيل إلى مثل هذا الوفاء بالمعاني والمقاصد جميعها والحال أنّ كلّ عمليّة ترجمة هي نقل وتحويل بل واستدعاء للتّغيير؟ وعلى قاعدة هذه المفارقة تنصبّ إشكاليّة بحثنا فيُطرح التساؤل التالي: هل لظاهرة المُتغيّر في الترجمة انعكاس على استجلاء جميع معاني الكلام وعلى درجة بيانه ومن ثمّة على القصد من إتيانه؟

2.2 ما المقصود ب"المُتغيّر" في الترجمة ؟

ورد في لسان العرب "مُتغيّر اسم مشتق من تغيّر" وتغيّر الشيء عن حاله" تحوّل وغيّره: حوّله وبدّله كأنه جعله غير ما كان"[7]. إنّ التغيير بمعنى التحويل والتبديل في الترجمة أمر عاديّ باعتبار أنها عمليّة تحويل لرسالة ما، بلغة معيّنة، ذات شفرة محدّدة إلى رسالة ثانية، بلغة مُغايرة، لها شفرة أخرى غير ما كانت عليه.

إلّا أنّ المُلفت للانتباه في شأن "المُتغيّر" في الترجمة أنّه فضلا عن التنوّع الأسلوبي فهو يأخذ أشكالا مختلفة في النصّ الهدف فغالبا ما يحاول المترجم الزيادة في الشرح أو البحث عن الجمالية فيضيف بعض الكلمات أو التعابير بغرض التوضيح كما يلتجئ أحيانا إلى إسقاط بعضها الآخر مُتوسّلا الاقتضاب. فالمُتغيّر

[6] "واعتقد أنّ ما شغل ويشغل بال اللسانيين والفلاسفة والمهتمين بالحقل الترجمي لا يقتصر على وضع تعريف للترجمة بل يتجاوز ذلك إلى محاولة مَفْهَمَتِها. ومن ثم جاءت الاقتراحات النظرية لجورج مونان في "الجميلات الخائنات" وفي "المسائل النظرية للترجمة" ولميشونيك في "شعرية الترجمة" ونايدا وشارل طابير في أعمالهما النظرية والتطبيقية حول النص التوراتي ولادميرال الذي أقرّ بصعوبة وضع نظرية علمية متكاملة حول الترجمة فاكتفى باقتراح "وحدات نظرية" يُسهم تطبيقها في تيسير عملية الترجمة وفاندر كوست عن مدرسة أمستردام الوظيفية اللّذان حاولا منهجة الترجمة ضمن جهاز مفهومي لساني متكامل مُؤَسَّسٍ تداوليا تُجَسّد فيه العلاقة بين البنيات التحتية للّغة المصدر واللّغة الهدف العملية المابين لغوية للترجمة"، محمد جدير، "الترجمة هرقل للتقريب بين قارتين"،مجلة إيلاف، 2009.

[7] ابن منظور، لسان العرب، م 5، ص. 40.

في الترجمة في هذه الحالة هو اختياري ذاتيّ إلّا أنّه قد يتعدى الشكل ليطال المعنى فيُوسّع من محتمله أو يقلّص منه عوض السّعي إلى تحيينه في سياقه الخاص.

ومع ذلك قد لا يجد المترجم بُدّا من إجراء بعض التحويرات في ترجمته لدواعي لغوية بسبب عدم إمكانية تطابق مباني وتراكيب وألفاظ اللّغة التي يترجم منها مع مباني وتراكيب وألفاظ اللّغة التي يترجم إليها[8]، وأخرى سوسيوثقافية بمعنى التمايز الاجتماعي والثقافي بين الشعوب فيطال التعديل في أكثر الأحيان المضمون أيضا في سبيل تحقيق مواءمة من حيث المعنى. فمعظم الكلمات يمكن لها استيعاب أكثر من معنى حسب سياقات ورودها، إذ تكتسب المفردات فضلا عن معانيها المعجميّة معاني معجميّة تركيبيّة وعلائقيّة تتحقّق وتبرُز في الخطاب خاصة إذا تعلّق الأمر بتراكيب اللّغة العربية لثراء أساليبها وعمق بيانها، يقول ابن قتيبة "فإنّه ليس في جميع الأمم أُمَّة أوتيت من العارضة والبيان واتّساع المجال، ما أوتيته العرب"[9].

فمن هذا المنطلق يتّخذ التغيير في الترجمة منحيين: منحى شكليّا خالصاً وهو تغيير في التشفير باعتبار أنّ الترجمة هي أوّلا انتقال من شكل لغوي له سُننه وصورته الرمزية والصوتية إلى شكل آخر له بدوره سُنن قولٍ خاصّة ونُظم في الترميز والتصويت مُغايرة فضلا عن التراكيب، ومنحى معنويا فهي أيضا تحويل لمضمون خطاب من منطق لغويّ معيّن له رُؤيته الخاصة للعالم إلى مضمون خطاب مماثل له، قدر المستطاع، ضمن رؤية للعالم عادةً ما تكون مُختلفة عن رؤية اللّغة المصدر. وبناء على ذلك ف"المترجم، كما ورد في قول دريس محمد أمين، لا ينقل اللغة فحسب، بل ما يتصل بها أيضا من جوهر ثقافي وكنه علاماتي يدور في فلك سيمياء الفضاء أو الكون، وهو ما اصطلح عليه كل من سابير وورف Whorf & Sapir تسمية (فرضية رؤى العالم) "**the Semiosphere** وسمّاه يوري لوتمان **Lotman Youri**، بـ (سمياء الكون)"[10].

[8] "وهذا ينجم عن عدم اِلتزامهم بأوّل مبدأ أساسي في علم اللّسانيات وهو أنّ التطابق التام ما بين مباني وألفاظ لغة ما وأخرى غير وارد على الإطلاق بالرغم من الاعتراف بوجود قواسم مشتركة عالميّة ما بين اللّغات. إلاّ أنّ خصوصيّة مباني وأسلوب وأدوات البيان في كل لغة تمنع من تحقيق تطابق تام ما بين لغة وأخرى"، عبد الله بن حمد الحميدان، "واقع الترجمة والتعريب في الوطن العربي"، مجلة علامات في النقد، ص. 482.

[9] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص. 12.

[10] دريس محمد أمين، المثال في الترجمة: ماهيته، أنواعه وخصائصه، مجلة الترجمة واللغات، Traduction et langues المجلد 18 العدد1/2019، ص .283.

3.2 ما "المعادلة" أو "التكافؤ النصّي" في عمليّة الترجمة؟

يُعدّ مبدأ "المعادلة" من أهم مبادئ علم الترجمة فهو يُركز على "المُراد قوله في النصّ المصدر"، فقد ورد تحت مدخل "المبدأ في الترجمة" في مسرد "مصطلحات تعليم الترجمة" ل"جان دوليل" – أحد أبرز المؤلفين للكتاب – والمترجم إلى العربية من قبل جينا أبو فاضل وآخرين أنّ المبدأ في الترجمة:

"هو مبدأ عام يُنظم عمليّة المعادلة فيما بين اللّغات وتنبني على هذا المبدأ أُصول الترجمة [...]:

- تقوم المُعادلة على مستوى الخطاب وليس على مستوى اللّغة.
- لا تُترجم الألفاظ بل تُترجم المعاني في إطار سياقها.
- على النصّ الهدف أن ينقُل قدر المستطاع المعلومات نفسها التي تولى نقلها النصّ المصدر."[11]

نتبيّن ممّا سبق أن المقصود بمبدأ "المعادلة في الترجمة" هو الحرص على تأمين التكافؤ المعنوي النصّي - باعتباره تقنية مميزة من تقنيات العمل الترجمي- دون الاعتناء كثيرا بجزئيات مباني الخطاب وتراكيبه الشكليّة. وهذا ما يشير إليه هيرتادو ألبارأمبارو فيما يلي: "فعل الترجمة يقتضي تعويض رسالة (أو جزء من رسالة) يُتلفّظ بها في لغة ما برسالة تعادلها يُتلفّظ بها في لغة أخرى"[12]. كما نعرج، في ذات السياق، على ما أورده دريس محمد أمين من تأكيد "منى بيكرBaker Mona ، **على** نحو حاسم، أنّ التكافؤ يعد مفهوما مركزيا في نظرية الترجمة، حتى وإن وجدت بعض الخلافات بشأنه. ويعرّف المؤيدون لهذا الرأي التكافؤ بأنّه مجموعة العلاقات بين النص المصدر (TS) والنص الهدف (TT)، مما يسمح باعتبار (TT) بمثابة ترجمة لـ (TS) في المقام الأول. لا يقوم التكافؤ بالتالي على نقل الكلم، بل السعي لإيجاد الموقف نفسه في اللغة المنقول إليها، وهو ما يعزز من مكانة التكافؤ في تدريسية الترجمة"[13].

ولكن هل لعدم العناية الكاملة بمباني النصّ وتراكيبه تأثير على درجة بيان الخطاب واستجلاء معانيه في نصّ الترجمة؟ ثمّ ما هو وجه العلاقة بين مبدأ البيان وبلوغ الترجمة لغاياتها التواصلية؟

[11] جينا أبو فاضل، مصطلحات تعليم الترجمة، ص. 111.

[12] « Traduire consiste à remplacer un message (ou une partie de message) énoncé dans une langue par un message équivalent énoncé dans une autre langue », Hurtado Albir, A, *La notion de fidélité en traduction*, p. 29-30.

[13] دريس محمد أمين، مجلة الترجمة واللغات،**Traduction et langues** المجلد 18 العدد1/2019، ص. 294-295.

4.2 ما "البيان" في الترجمة؟

عرّف لسان العرب البيان كالتالي: "مـا بُيِّن به الشيء من الدلالة وغيرها. وبـان الشيء بيانا اتَّضَح، فهو بَيِّنٌ، والجمع أَبْيِناءُ، مثل هَيِّنٍ وأَهْيِناء، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبِينٌ [...] والبَيانُ: الفصاحة واللَّسَن، وكلامٌ بيِّن فَصيح، والبَيان: الإفصاح مع ذكاء. والبَيِّن من الرجال: الفصيح"[14].

وانطلاقا من هذا المعنى المعجمي للفظ البيان الدّال على الوضوح والفصاحة والظهور انبثقت معانٍ أخرى تدرّجت من التعاريف الاصطلاحية مثل تعريف الجاحظ له "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب عن الضمير"[15] إلى أن تمّ وَصلُه عند إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني بمصطلحات البلاغة والفصاحة والبراعة فتَوَسُّل البيان عنده يكشف عمّا في النفوس من الأغراض والمقاصد لأنّ:

"تحقيق القولِ على البلاغةِ والفصاحةِ والبيانِ والبراعة وكلّ ما شاكل ذلك، ممّا يعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلّموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعلِمُوهُم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم [...] أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، وتختار له اللّفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يُكسبه نبلا، ويُظهر فيه مزيّة..."[16].

ثمّ استأثر لفظ البيان من حيث المفهوم والمرجع بمجال معرفي مخصوص يُسمّى ب "علم البيان" وهو أحد فروع علم البلاغة في اللّغة العربية. إذ ميّزه السكّاكي عن علم المعاني وعن البديع كما يلي:

"وأمّا علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه بالنقصان ليحترز بالوقف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه. [...] ولمّا كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلّا بزيادة، جرى منه مجرى المُركّب من المُفرد، لا جرم آثرنا تأخيره، فعلم البيان يقع ضمن علم المعاني"[17].

---

[14] ابن منظور، لسان العرب، م 13، ص.68-67.

[15] الجاحظ البيان والتبيين، ج 1، ص.76.

[16] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص.43.

[17] السكّاكي، مفتاح العلوم، ص. 162.

وهكذا نرى أوّلا أنّ البيان لدى الجاحظ هو الوسيلة التي تزيح الحجب عن المعنى، وأنّه عند إمام البلاغة إيتاء المعنى من الجهة التي هي أصحّ وأخصّ لتأديته وهو لدى السكّاكي العلم الذي يدرس الطرق المُوصوله إلى المعنى متجاوزا أُطر الكلام الحقيقيّ إلى عمق أوجه الخطاب المجازيّ (التشبية والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية).

ونخلُص ثانيا إلى إمكانية القول بأنّ لفظ البيان يشبه الترجمة ويكاد يمتزج بها إلى حدّ بعيد فهو من الناحية اللّغوية استبيان للكلام وتبليغ له بفصاحة ولفظ دال. وهذا لعمري من أولى أهداف الترجمة وإن كان بلسان مُغاير وهو من ناحية أخرى علم من علوم البلاغة ويرتكز في منهجه على التوسّل بطرائق ووسائط متنوعة لضمان التبليغ، بل والإقناع مباشرة عبر التصريح في العبارة أو بصورة غير مباشرة عبر التجوُزّ فيها قصد التبيين والإفهام. وما الترجمة إلّا تجنيد لمختلف الوسائل اللّغوية من أجل التبليغ بكلام فصيح وجليّ لمعاني ومقاصد النصّ المصدر. فالترجمة، حسب رأينا، بيان منقول بلسان مختلف عن لغة النصّ المصدر، والبيان هو عبارة عن ترجمة واضحة لمعاني الخطاب (مفردات أو جُمل أو نصوص أو كتب كاملة) ولمقاصد المتكلم في مختلف وضعيات التلّفظ. وعلى ضوء التعاريف السابقة يمكن أن نستخلص ما يلي:

- أنّ الترجمة أمانة ويشترط فيها الوفاء بجميع مكونات النصّ الأصلي ومعانيه.
- أنّ الترجمة تحويل لمضمون خطاب من منطق لغوي معيّن له رؤيته الخاصة للعالم إلى مضمون خطاب مماثل له قدر المستطاع، حسب منطق لغويّ جديد.
- أنّ الترجمة معادلة فهي تأخذ بمبدأ الحرص على تأمين التكافؤ المعنوي والنصي، وإن كان ذلك على حساب مباني الخطاب وتراكيبه.
- أنّ الترجمة بيان منقول بلسان مختلف عن لغة النصّ المصدر، فهي استبيان للكلام وتبليغ له بفصاحة ولفظ دال. فكيف يمكن عندئذ لميدان علم الترجمة - بجانبيه النظري والتطبيقي- أن يجمع بين مسائل تكاد تكون متعارضة مثل المعادلة والبيان والأمانة وظاهرة التّعديل في نص الترجمة أو حتّى التّغيير فيه؟

3. الترجمة البحث

إنّ هذه التسمية "الترجمة البحث" اقتبسناها من عنوان لمقال الأستاذ الباحث، حسن حمزة، الذي ورد في مجلة "العربية والترجمة" الصادرة سنة 2009، في مقاله هذا يتساءل الباحث بدوره عن وجاهة هذه التسمية قبل أن يتبناها مصطلحا إذ يقول في هذا الصدد : "توقفنا أمام العنوان المقترح هنا : "الترجمة البحث" قبل أن نحزم أمرنا ونتبناه مصطلحا قد تُكتبُ له الحياة كما كُتبت لغيره، و قد لا يجد طريقا إلى القارئ فيموت كما مات كثير من المصطلحات في شتى الفنون [...] وقد يتوقف القارئ أمامه كما توقفنا، متسائلا عن وجاهة الاختيار ومن حقه أن يسأل و يتساءل قبل أن يتّخذ قراره بالرفض أو القبول"[18].

لم نتوقّف، في الحقيقة، كثيرا لقبول هذا المصطلح والاستئناس به عند النظر في مسائل تخُصّ ميدان علم الترجمة. لأنّ هذا الميدان فضلا عن كونه مجال واسع ومبحث عسير يستدعي من القائمين بشأنه جهدا كبيرا - متوسّلين في ذلك مناهج علميّة دقيقة في الألسنيّة خاصّة، ومتسلحين بزاد ثقافيّ واسع وبذوق سليم - فإنّ عمليّة الترجمة في حدّ ذاتها تستدعي من المترجم البحث عن معادلات وتكافؤات بين النصّ المصدر والنصّ الهدف. لأنّ قيمة هذا المصطلح "الترجمة البحث" تبرز في كون إجراء فعل الترجمة ليس مجرد عمليّة نقل للألفاظ من جدول لغويّ إلى جدول لغويّ آخر بصورة تكاد تكون آليّة، وإنّما هو بحث دؤوب في المتغيّرات التي تطرأ أثناء عمليّة الترجمة وتقتضي استدعاء طرائق في الترجمة لإيجاد بدائل لا تنقل بعضا من المعنى في قالب لغوي هجين وإنّما تنقل روحه في مادة لغويّة حيّة ونصٍ جديد سلس لا تُشعر القارئ بتعقيدات الترجمة أو تكلّف في الخطاب.

1.3 الترجمة بوصفها حقلاً معرفيا مستقلاً

إنّ تنوّع النصّوص التي يمكن أن تطالها حركة الترجمة وتشعّب المجالات العلميّة التي تصدر عنها وتعدّد اختصاصاتها، فضلا عمّا يزخر به المجال الأدبي والفنّي عموما من أجناس خطابيّة متنوّعة من حيث الشكل

[18] حسن حمزة، "الترجمة البحث"، العربية والترجمة، العدد 1، 2009، ص.6.

والمضمون، يجعل من ميدان الترجمة حقلا معرفيا واسعا وميدانا علميّا[19] قائم الذات فالترجمة بصفتها هذه اكتسحت أسوار الجامعات وتبوّأت فيها مكانة هامة بين شتّى العلوم، يقول فؤاد عبد المطلب في هذا الغرض: "ولقد أصبحت الترجمة بفرعيها الشفهي والكتابي اختصاصاً قائماً بحد ذاته يُدرس في الجامعات وله طرائقه وبرامجه الخاصة. ومن المعروف الآن أن جامعات أجنبية وعربية عديدة قد افتتحت أقساماً وكلّيات تعنى بدراسة الترجمة بوصفها حقلاً علمياً مستقلاً وأخذت تمنح شهادات علمية اختصاصية وعلى كافة المستويات في هذا الحقل"[20].

إنّ تنوع مجالات النصّوص يفتح الترجمة على ميادين علميّة شتّى، وهي من هذا المنطلق تُضاهي انفتاح الفلسفة وشموليتها ليس من حيث البحث في أصل الأشياء وحقائق الموجودات، ولكن من حيث ضرورة الاطلاع والوعي بالخصوصيات المعرفية لكل مجال من المجالات العلميّة. وإلى ذلك تمتاز الترجمة بنقل أجلّ نِتاج هذه العلوم من نصوص ومؤلفات إلى لغات أمم وشعوب أخرى هي في حاجة إليها. ولذلك ظهر علم المصطلحات بأسسه النظرية وتطبيقاته العمليّة وهو بمثابة رافد من روافد العمل الترجمي لأنّه بتوليده للمصطلحات وفق طرائق لغويّة مثبتة (من بينها الاشتقاق والنحت والتركيب والمجاز) ومناهج معرفية (في جانبها المفهومي خاصّة) يُذلّل أمام المترجم صعوبات جمّة لاسيّما عندما يتعلق الأمر بالترجمة المختصّة.

إنّ في احتياج الترجمة لروافد معرفيّة متنوّعة مثل علم المصطلحات واللّسانيات فضلا عن الاستنارة بالمستويَين الابستمولوجي والثقافي - ضرورة الاطلاع عن المجال المعرفي لنصّ الترجمة والوعي كذلك بالخصوصيّات الثقافية للجماعات اللّغوية المستهدفة بالترجمة - لا ينمُّ فحسب عن تأصّل النشاط الترجمي كحقل علميّ مستقل بذاته وإنّما يقيم الدليل كذلك على ثراء هذا المجال العلمي بتعدّد روافده المعرفية وغنى أسسه المنهجيّة. يقول ممدوح خسارة في أهميّة الترجمة في تحيِين اللُّغات خاصة إذا ما عاضدتها المصطلحيّة أنّ:

[19] « C'est bien plus tard encore [après les Interprétation de Leonardo Bruni, qui date des environs de 1420] qu'apparaîtront les études théoriques sur la traduction, considérée comme discipline scientifique, lorsque, à partir de la fin du XIXe s., les "Translation Studies" deviendront un domaine autonome d'étude », Bruno ROCHETTE, « Traduire ou ne pas traduire : un dilemme bien connu des auteurs grecs et latins », Translation : traduire et adapter les Anciens, p.22.

[20] فؤاد عبد المطلب، "الترجمة والبحث العلمي"، علامات في النقد، ص. 85.

"الترجمة والمصطلحية تساعدان على تجديد الأساليب والمفردات العامة والمتخصّصة لجميع اللّغات بصرف النظر عن مدى انتشارها. وذلك لأنّ الميادين الجديدة التي تخوضها الترجمة تقتضي منها بالضرورة أن تبحث عن صيَغ ومصطلحات حديثة تلائم الواقع المعيش وهذا يُعدّ وسيلة من وسائل تطوير اللّغة وإغنائها"[21].

2.3 الفهم النظري للعمليات الترجميّة

إنّ القول بأنّ الترجمة ميدان علميّ من ميادين المعرفة والدراسة يستدعي الإقرار بأنّ في البحوث الترجميّة إعمال للفكر والتنظير[22] مما يستوجب إحداث مصطلحات ومفاهيم خاصة بها وهذا أمر حاصل في حقل الترجمة. فالمصطلحات متعددة ومتنوّعة تنوّع النظريات التي حاولت تفسير العمليات الإدراكيّة والإجرائيّة لفعل الترجمة. وهي تدور في معظمها حول التساؤل الجوهري والرئيسي الذي يبحث في الصورة التي ينبغي أن تكون عليها الترجمة أهي حرفيّة كلمة بكلمة أي تقوم على الاستبدال اللفظي أم هي حرّة، معنى مقابل معنى، ويكون الاهتمام هنا بمضمون الكلام لا بألفاظه. فانبثقت عن هذه الإشكاليّة الجوهريّة مُصطلحات عدّة تنتمي إلى نظريات ترجمية عامة مثل نظرية الترجمَة الحرفيّة ونظرية الترجمة التأويليّة ونظرية الترجمة الثقافيّة ونظرية الترجمة الوظيفيّة، وأخرى جزئية أي محدّدة بمعايير معيّنة. ونذكر من بينها النظريّات

[21] ممدوح خسارة، التعريب والتنمية اللّغوية، ص. 33.

[22] "إنّ الترجمة بدأت من مُدّة زمنية بعيدة تكاد تكون لصيقة ببدء حاجة بني البشر المتعددي الألسنة للتفاهم والتواصل فيما بينهم سواء كان ذلك التفاهم والتواصل إيجابيا أم سلبيا، في الحقول والمعابد والمقايضة أم في ساحات الوغى وما بعدها. لكن التنظير للترجمة أعقب ذلك بزمن طويل لأنّ التنظير حاجة تُعبّر عن "الترف" و"البَطَر" وهي غالبا ما تلحق عملية إشباع الحاجات الأساسية وتلبيتها وقد لا تأتي مثلما حصل مع فترة ازدهار الترجمة في عهد العباسيين الذين صرفوا جهودا كبيرة في ترجمة علوم الأمم المتقدمة آنذاك وآدابها و لم يعطونا سوى النزر اليسير في مجال التنظير. و حين نتكلم عن نظرية الترجمة فإنه ليس بمقدورنا أن نطلق صفة النظرية ونعممها إلاّ على التوجهات النظرية التي برزت منذ منتصف القرن العشرين صعودا، فجميع الآراء و"النظريات" التي سبقت ذلك لم تكن سوى آراء انطباعية قيلت في مدح أو قدح هذه الترجمة أو تلك أو عبارة عن مقدمة كتبت لترجمة أو آراء و وجهات نظر مبثوثة في حقول و ميادين نقول عنها أنها بعيدة اليوم عن "دراسات الترجمة" كالبلاغة والأدب المقارن و اللسانيات التقابلية."، كاظم خلف العلي "مدخل إلى نظريات الترجمة: المرحلة الكلاسيكية"، صوت العراق:

http://www.sotaliraq.com/articles-،iraq.php? id 41881 ،2012 -08- 31

المُحدَّدة بالوسائط مثل الترجمة الآلية والترجمة البشرية، والنظريّات المُحدَّدة بالرتبة مثل المقاربة اللسانيّة للترجمة التي تعتني بمدى تركّب الوحدات اللّغويّة وتعقّدها بالتدرّج من مستوى ما دون الجملة إلى مستوى الجملة لتبلغ مستوى النصّ، ونظريّات المقاربة التأويلية للترجمة التي تبحث في أنواع النصّوص وأنماطها: نصوص علميّة أو أدبيّة وكذلك في أصنافها: وصفيّة أو سرديّة أو حجاجيّة، إلخ.

وعليه فقد أنتجت هذه النظريات الترجمية مصطلحات خاصةٍ بها تُبلور مضامين أطروحاتها الفكرية. فماريان لوديرار على سبيل المثال - وهي أحد أقطاب مدرسة باريس التأويليّة - تبحث في مصطلحات مثل الفهم والتجريد اللّغوي وإعادة الصياغة. وتختزل هذه المصطلحات العمليات اللازمة لكل نشاط ترجمي ومدارها هو أن يُفصل المعنى المراد نقله في الترجمة بعناية عن الغشاء اللّغوي الأصل لإلباسه غطاء لُغويّا ملائما في اللّغة الهدف. إضافة إلى مصطلح الوحدة الترجمية والتي تُقاس بوحدة المعنى وكذلك مصطلحَي التقابل (الترجمة في مستوى الوحدات اللّغوية التي لا تتجاوز حدود الجملة) والتكافؤ (الترجمة في مستوى الوحدات النصّيّة)، تقول الكاتبة موضحة مبدأ التكافؤ في الترجمة : "إنّ الترجمة التأويليّة هي ترجمة تحتكمُ إلى مبدأ التكافؤ اللّغوي فحين تُبنى الترجمة اللّسانيّة على أساس التقابل اللّغوي والفرق الأساسيّ بين التكافؤ والتقابل اللّغويَين هو كون الأوّل يكون مجديا في ترجمة النصّوص بينما تكمن أهميّة الثاني في مستوى ترجمة عناصر الوحدات اللّسانيّة"[23].

وكثيرا ما يتعرض الدّارسون [...] في مجال علم الترجمة لمصطلح القصد ومن بينهم نذكر خاصة جان دوليل. ويختزل مصطلح القصد فكرة أنّ الغاية من العمل الترجمي لا تقتصر على البحث عن مقابلات لغويّة مثلما هو الحال عليه في المعاجم الثنائية وإنّما يعني بالأساس البحث عمّا يعادل المعنى المقصود من طرف مرسل الكلام في اللغة المصدر ثم ترجمة هذا القصد إلى اللّغة الهدف. فدور المترجم يتجاوز حينئذ القراءة السطحيّة إلى قراءة ما بين السطور لكي يستطيع تحصيل المعنى كاملاً بل وظلاله وهو بذلك يختلف عن

[23] « La traduction interprétative est une traduction par équivalences, et la traduction linguistique est une traduction par correspondance […] la différence essentielle entre équivalences et correspondances : les premières s'établissent entre textes, les secondes entre des éléments linguistiques », Lederer M., La traduction Aujourd'hui : le modèle interprétatif, p.11.

القارئ العادي وهذا ما يؤكده جان دوليل في حديثه عن الترجمة: "فعل الترجمة لا يعني إجراء مقارنة، ولكن يعني بالأساس إعادة التعبير عن قصد يضطلع بوظيفة تواصليّة دقيقة"[24].

4. من مظاهر استجلاء المعنى عبر رصد "المتغيّر" في الترجمة

لقد سبق أن ذكرنا في مقالنا هذا أنّ فعل الترجمة ليس مجرد عمليّة نقل للألفاظ من جدول لغويّ إلى جدول لغويّ مُغاير. فالمسألة ليست عبارة عن استبدال آلي لمفردات النصّ المصدر في متن النصّ الهدف. وإنّما هو بحث دؤوب في المتغيّرات التي تطرأ في نص الترجمة وتقتضي استدعاء طرائق في الترجمة كفيلة بتفادي تعنّت المُتمنّع في الترجمة أوتملّص ما يصعب نقله من لسان إلى لسان آخر أثناء فعل الترجمة فيكون اللجوء إلى التأويل حينئذ أمر مستساغ وهو أحد مداخل الترجمة عند بول ريكور كما جاء على لسان بلقاسمي حفيظة و ميمون سميرة: "يقول فيلسوف التأويل بول ريكور: "هناك مدخلان يؤديان إلى المشكل المطروح من طرف فعل الترجمة، أن نأخذ كلمة "ترجمة" بالمعنى الدقيق الذي يعني نقل رسالة لسانية لغوية من لغة إلى أخرى أو نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللّغوية" فبول ريكور هنا يضع يده على جوهر كل ترجمة خلاقة، التي هي ترجمة لا ترضى بالاكتفاء بدور القناة السلبية التي تنقل الرسائل بين لغة وأخرى، بل تطمح في عمقها إلى أن تكون تأويلا حقيقيا يصنع المعنى والدلالة ويعيد تشكيل اللغة والثقافة داخل المجموعة اللغوية المترجم إليها"[25].

و لكي لا يظلّ كلّ ما بسطناه هنا حول موضوع "الترجمة البحث" ذا طابع نظريّ صرف ارتأينا أن نَنظُر في ترجمة جزء من قصيدة "البحيرة" لألفونس دي لامارتين وذلك كمثال لتحليل مظاهر استجلاء المعنى عبر رصد "المتغيّر" في الترجمة بصفة خاصّة وأيضًا للرّبط بين الجانب النظري والجانب التطبيقي بصفة عامّة.

1.4 دراسة مثال : جزء من قصيدة "البحيرة" لألفونس دي لامارتين

[24] « Traduire n'est pas comparer, mais fondamentalement réexprimer un vouloir dire manifesté dans un texte doté d'une fonction communicative précise ». Delisle, J., « L'analyse du Discours comme Méthode de Traduction », Cahier de Traductologie n° 2, p16.

[25] بلقاسمي حفيظة وميمون سميرة. (2015)." الترجمة الأدبية وسؤال التأويل "، مجلة "الترجمة واللغات"، Traduction et languesالمجلد 14، العدد 1،2015، ص.5-6.

LE LAC) Alphonse de Lamartine)[26]
Ainsi, toujours poussés vers de nouveaux rivages,
Dans la nuit éternelle emportés sans retour,
Ne pourrons-nous jamais sur l'océan des âges
Jeter l'ancre un seul jour ?
***
Ô lac ! l'année à peine a fini sa carrière,
Et près des flots chéris qu'elle devait revoir,
Regarde ! Je viens seul m'asseoir sur cette pierre
Où tu la vis s'asseoir !
***
Tu mugissais ainsi sous ces roches profondes ;
Ainsi tu te brisais sur leurs flancs déchirés ;
Ainsi le vent jetait l'écume de tes ondes
Sur ses pieds adoré

LE LAC **Alphonse de Lamartine**	**البُحيرة** ترجمة سعيد محمد الجندوبي/ (ت أ) [27]	**البُحيرة** ترجمة أحمد أمين/ (ت ب)	**البُحيرة** ترجمة أحمد حسن الزيات/(ت ج)
Ainsi, toujours poussés vers de nouveaux rivages, Dans la nuit éternelle emportés sans retour, Ne pourrons-nous jamais sur l'océan des âges Jeter l'ancre un seul jour ?	هكذا، يُلقى بنا دوما نحو سواحل جديدة، وفي الليل الأزليّ نُؤخذ بدون رجعة، فهل	هكذا نساق كل يوم نحو شط جديد، نساق إلى غير أوبة في ليل سرمديّ، يا ليت شعري ـ والأيام نسبحها كبحر مديد ـ	أهكذا قضى الله أن نخر في عباب الحياة مدفوعين في ظلام الأبد من شاطئ إلى شاطئ، دون أن نملك الرجوع إلى ملجأ،

[26] De Lamartine, A. « Le lac ») 2000**)**. Médiations poétiques. Tunis : Cérès.

[27] حرف **التاء** هو اختصار لكلمة "ترجمة" وأمّا **الألف** و**الباء** و**الجيم** هي رموز لترجمات متمايزة لذات النص.

أو الرّسو ذات يوم على مرفأ؟ *** انظري أيتها البحيرة!.. ها هو ذا العام قد كاد يشارف تمامه، وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة أرتقب عبثاً عودة جوليا إليها جالساً فوق الصخرة التي كنت ترينها جالسة عليها !	أنُلقي المرساة يوماً واحداً في بحرها اللجي؟ *** أيتها البحيرة! هأنذا ـ ولم تكد تدور بنا دورة العام ـ هأنذا بجانب الموج الحبيب الذي وَدّت لو تعود إليه، انظري! هأنذا أجلس على هذه الصخرة وحيداً، على الصخرة التي رأيتها جالسة عليها. *** هكذا غمغمت تحت عميق الصخور، هكذا لاطمت جنبيها فانتثرت رذاذاً، هكذا ألقت الريح من أمواجك بالزبد على قدميها الحبيبتين.	بمقدورنا يوما، على سطح محيط الدهور إلقاء المرساة ولو ليوم ؟ *** ها هو الحول قد دار وعند الأمواج الحبيبة التيّ كانت من جديد ستراها،! أُنظري! ألا يا بحيرة ها أنا اليوم جئتُ وحيدا، لأجلس على تلك الصّخرة الّتي طالما رأيتِها جالسة عليها!	*** O lac ! l'année à peine a fini sa carrière, Et près des flots chéris qu'elle devait revoir, Regarde ! je viens seul m’asseoir sur cette pierre Où tu la vis s’asseoir ! *** Tu mugissais ainsi sous ces roches profondes; Ainsi tu te brisais sur flancs déchirés ; leurs jetait Ainsi le vent l’écume de tes ondes .Sur ses pieds adorés

وتتكسر أمواجك على جوانبها الممزقة ويقذف هواؤك الزبد على قدميها المعبودتين.		*** كنتِ تهدرين هكذا تحت هذي الصخور الغائرة؛ هكذا كنتِ تتحطّمين على جُنوبها الممزّقة؛ هكذا كانت الريح تلقي بزبد أمواجك على ساقيها المحبوبتين.	

- جدول لترجمات مختلفة لقصيدة "البحيرة" ل دي لامارتين[28]

[28] للاطلاع على هذه الترجمات وغيرها أُنظر مجلة " المستقبل" - الخميس 16 تشرين الثاني 2006 - العدد 2447- ثقافة وفنون- ص. 20.

2.4 ملاحظات حول الترجمة

إنّ دائرة المعنى المعجمي تلوحُ شيئا فشيئا من (ت أ) إلى (ت ج)، ففي (ت أ) يمكن إضافة مَعنَم [+أعلى] في "يلقى بنا / نُؤخذ" مقارنة بلفظ "نُساق" وهو غير متحقّق بالضرورة في معنى الفعل "نساق" في (ت ب)، فمعنى القدر المُضمر خطابا والمُعلن في السياق يحيل أوّلا إلى كائنات علوية ملغزة (ت أ) - قدر السماء والزمان-، ثم يتلاشى لغز السماء في (ت ب) ليظل القدر محصورا في مربع الزمان والمكان. أمّا في (ت ج) فإنّ المعلن تلميحا في السياق يصير مُصرّحا به في الخطاب "قضى الله أن نمخر في عباب الحياة". ويصبح القدر قضاء الله فتضيق دائرته في الترجمة ويُحدد معناه ونقترب أكثر من المقاربة الغائيّة في الترجمة التي تراعي ثقافة ولغة النصّ الهدف على حساب الوفاء للنص المصدر. وتمعن (ت ج) في هذا التحديد المعنوي بإضافة لفظة الحياة "عباب الحياة " ليتجلى معنى القدر ويعكس إرادة الله في الحياة والكون عامة. إذ يمكن إضافة مَعنم [+أعلى] في عبارة "يلقى بنا / نُؤخذ" في الترجمة (أ) مقارنة بلفظ "نساق" في الترجمة (ب) وهو غير متحقّق بالضرورة في معنى الفعل "نساق".

إنّ إعادة ترتيب عبارات هذا المقطع (المقطع الأوّل) تهدف إلى تطويع التركيب ليوافق سنن القول في اللّغة الهدف، لأنّ الإبقاء على التركيب الوارد في اللّغة الفرنسيّة سيجعل القارئ العربي يشعر بغرابة التركيب وركاكة الأسلوب ناجمتين عن تعقيدات في الترجمة وتكلف في الخطاب. فهذا الترتيب الجديد في النصّ الهدف جاء للالتزام بمقتضيات اللّغة العربيّة، لأنّ المحافظة على البناء الأصلي للمقطع في النصّ الهدف قد يؤدي إلى اِلتباس المعنى وغموضه لانتفاء استحضار التركيب الطبيعي في اللغة الهدف. فنتبيّن من ذلك أنّ المترجم قدّم وصفا دقيقا - من خلال إجرائه لهذا التغيير- لكي يَنقل المعنى بوضوح، حتى أنّ العبارة بدت بعد الترجمة كأنها كُتبت أصلا في اللّغة الهدف.

تبدو (ت ج) هي الأقرب من حيث التكافؤ بين النصّ الأصل ونص الترجمة على مستوى الشكل (النفس الشعري) كذلك على مستوى المضمون، في حين أنّ الترجمتين (أ) و (ب) تفيان - على حد السواء - بغرض المعنى، غير أنّه عند المقارنة بين الترجمتين الأخريين فإنّ السيّاق هو الذي يستأثر بالكلمة الفصل في اختيار الأسلوب الأبلغ للترجمة فيُرجّح (ت ب) على (ت أ) لإدخالها بعض التحويرات، وهو عبارة عن إجراء تغيير - كلما استدعى الأمر ذلك - في تراكيب لغة النصّ الهدف دون التعسّف عن المعنى النصّ المصدر.

وقد طرأ هذا التغيير - بحكم سياق الاستعمال - حتى تُجاري الجملة ذوق القارئ وتوافق أفق انتظاره اللّغوي، وما هذا الترجيح في الحقيقة إلاّ مظهرا من مظاهر تخصيص المعنى في اللّغة الهدف لأنّه باستبدال الاستعارة بالوصف الحسّي (بحرها اللجيّ) حدّد المترجم بذلك المعنى وتفادى أن تؤول ترجمته إلى استعارة باهتة ناجمة عن ترجمة حَرفية قد يتّسعُ معناها إلى حدّ التلاشي (على سطح محيط الدهور) أو (فوق محيط السنين).

نلاحظ في جُلّ الترجمات المقترحة، في الجدول أعلاه، المحافظة على نظام الجملة بين اللّغة المصدر واللّغة الهدف - استعمال صيغة المبني للمجهول - وإن كانت العربية تفضل استخدام المبني للمعلوم، ولكن في (ت ج) توسّل المترجم بنوع من التطويع التركيبي (التكييف) بُغية التحّرر من قيود اللّغة المصدر فغيّر في التركيب مُحوّلا صيغة البناء من المجهول إلى المعلوم "نظل مندفعين" وذلك استجابة لسياقات مخصوصة تفرضها عملية الترجمة. لأنّ أساس كل ترجمة هو فك عناصر النصّ الأصلي وإعادة دمجها وصياغتها بالاستئناس بمسوّغات القول في اللّغة الهدف. وهذا ما يؤكده أوستينوف فيقول فيما معناه في بحثه المتعلق بالترجمة: " إذا كنّا نظن أنّ الترجمة انتقال من الأصل دون أي تغيير من لغة إلى أخرى، يجب سلسلة الحكم باستحالة الترجمة إطلاقا"[29]، وعلى هذا الأساس غيّر المُترجم في النصّ الهدف – تفاديا لاستحالة الترجمة- فترجم مستعملا عبارة مكافئة في اللّغة الهدف تناسب السياق وتنقل قصد الكاتب. وقد وفّق إلى حدّ ما في نقل المعنى بوضوح وهذا نابع عن فهمه العميق لمؤشرات السّياق.

إنّ من خصائص (ت أ) أنّها ترجمة أقرب إلى الحَرفيّة فهي مرتكزة على النصّ الأصلي، ولكن دون أن تنزاح بعيدا عن قواعد اللّغة الهدف. فيمكن أن نصفها بكونها ترجمة حَرفيّة بغير المِثل. أمّا في (ت ب) فهي تطويع للنص الأصلي إذ تتحدّد فيها دائرة المعنى بإضفاء تطويع تركيبي وتكييف للعبارة لكي تبدو متماسكة لغويا ومتلائمة معنويا وذلك عبر اللجوء مثلا إلى الجمل الاعتراضية "يا ليت شعري ـ والأيام نسبحها كبحر مديد ـ أُلقي المرساة يوماً واحداً في بحرها اللّجي؟". / "أيّتها البُحيرة! هأنذا ـ ولم تكد تدور بنا دورة العام ـ هأنذا بجانب الموج الحبيب" أو بالمغامرة ببعض الإضافات الشارحة أو الداعمة مثل "هكذا غمغمت تحت عميق الصخور، هكذا لاطمت جنبيها فانتثرت رذاذاً".

[29] Oustinoff, M., La traduction, Que sais-je ? Paris : PUF, p. 57.

أمّا في (ت ج) فإنّ انتهاج أسلوب التكييف اللّغوي والتكافؤ في العبارة هو المنهج الغالب على هذه الترجمة، فهي تحافظ على قيمة الروح الرومنطقية التي تجسدها لغة قصيدة "البحيرة" ويطفح بها نفسها الشعري. فهذا النموذج الذي تُعبّر عنه (ت ج) يجعل من عمل الترجمة "مطابقة مفتوحة" تُرضي أوّلا النصّ ذاته في لغته الأصلية الفرنسية وتفسح المجال ثانيا لقارئ الترجمة لكي يتفاعل مع النصّ الرومنطيقي في لغته العربية كما تفتح أفقا جديدا للإنتاج الأدبي في شكله كما في مضمونه لأنّ:

"الترجمات الأدبيّة التي ازدهرت في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن العشرين بالإضافة إلى الاحتكاك المباشر بالغرب جعل الترجمة عاملاً أساسياً من عوامل إغناء المكتبة العربية، وإلى إحداث تغييرات أساسية في أشكال الأدب العربي انعكست في شكل أجناس أدبية جديدة كل الجدّة أحياناً، وإلى تعديلات لأجناس أدبيّة أخرى موجودة من قَبل أحياناً أخرى"[30].

5. خاتمة

إنّ الالتزام بمبدأ الأمانة اِلتزاما قطعيّا كثيرا ما يُفضي بالمترجم أمام طريق مسدودة لاستحالة الترجمة التي تختلف حدّتها من حيث اللّغة المترجم إليها ونوع الخطاب والبيئة الثقافيّة الحاضنة للترجمة. وانطلاقا من هذه الصعوبات التي تقف عقبة أمام عمل الترجمة فإنّ الاستعاضة عن مبدأ الأمانة للنص المصدر بمبدأ الوفاء لمعانيه يصبح أمرا مطلوبا. وهذا الوفاء ينبغي أن يتوسّل بجهاز "الترجمة البحث" لتحقيق معايير تضمن بلوغ غاية الترجمة، مثل معيار البيان الذي يقوم على الكلام الدال والفصيح ومعيار المعادلة في الدلالة أو التكافؤ المعنوي. وقد تستدعي مثل هذه المعايير التّغيير في الصياغة لسبر أغوار المعنى أثناء عمليّة التحويل لأنّ كل ترجمة ليست سوى قراءة عميقة للنّص في لغته الأصليّة. ومن هنا ينتفي التعارض الشكلي في الجمع بين مسائل تظهر للوهلة الأولى متباينة ومتناقضة مثل المعادلة والبيان والأمانة وظاهرة التغيير أو العدول في نصّ الترجمة. ولئن كانت ترجمة النصّوص الشعريّة والفنيّة عامة تبيح التغيير أو حريّة التصرّف في الشكل والمضمون بين النصّ المصدر والنصّ الهدف، فكيف السبيل لاستجلاء المعنى في ترجمة نصوص دقيقة أو إشكاليّة مثل

[30] فؤاد عبد المطلب، "الترجمة والبحث العلمي"، ص.102.

النصّوص الدينيّة التي تثير حرجا لما لها من قدسيّة تأبى التغيير عموما خشية المساس بالمعنى ومن ثمة بالثوابت الدينيّة؟

References

[1] Benyamina, H. (2007). Difficultés Rencontrées dans la Traduction des Termes à caractères Historique et Culturel du Russe vers l'Arabe. *Revue Traduction et Langues 6 (1),* 65-68.

[2] De Lamartine, A. (2000). *« Le lac » Médiations poétiques.* Tunis : Cérès.

[3] Delisle, J. (1984). L'analyse du Discours comme Méthode de Traduction. *Cahier de Traductologie n° 2,* Edition de l'Université d'Ottawa.

[4] Hurtado Albir, A. (1990). *La notion de fidélité en traduction.* Paris : Didier Eruditions, pp. 29-30.

[5] Lederer, M. (1994). *La traduction aujourd'hui : le modèle interprétatif.* Paris : Hachette, « collection F ».

[6] Oustinoff, M. (2007), *La traduction, Que sais-je ?* Paris : PUF.

[7] Rochette, B., (2013). *Traduire ou ne pas traduire : un dilemme bien connu des auteurs grecs et latins, in Bonnet Corinne, Translation : traduire et adapter les Anciens.* Paris : Classiques Garnier, pp. 21-38.

[8] Ibn Qutaybah, Abū Muḥammad ʻAbd Allāh ibn Muslim (1983). Ta'wīl mushkil al-Qur'ān, taḥqīq Aḥmad al-Ṣaqr. Al-Qāhirah : Maktabat Dār al-Turāth.

[9] Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram (D. t). Lisān al-ʻArab. Bayrūt : Dār Ṣādir.

[10] Belqāsmy Ḥafīẓah wmymwn Samīrah. (2015). "al-tarjamah al-adabīyah wa-su'āl al-ta'wīl ", Majallat" al-tarjamah wa-al-lughāt ", Traduction et langues al-mujallad 14, al-ʻadad 1, 2015, Ṣ. 1-15.

[11] Ben Sharīf Hishām (2008). Al-mutarjim bayna al-Amānah wa-al-khiyānah, Majallat "al-tarjamah wa-al-lughāt", Traduction et langues, al-mujallad al-sābiʻ, al-ʻadad al-Awwal, Ṣ. 117-112.

[12] Al-Jāḥiẓ, Abū ʻUthmān ʻAmr ibn Baḥr (1998). Al-Bayān wa-al-tabyīn, J 1, taḥqīq ʻAbd al-Sālim Hārūn. Al-Qāhirah : Maktabat al-Khānjī.

[13] Jadīr, Muḥammad (2009). "al-tarjamah Hiraqil lil-Taqrīb bayna qārtyn". Majallat Īlāf, 26 Sibtambir. Landan.

[14] Al-Jurjānī ʻAbd al-Qāhir, (1992). Dalā'il al-iʻjāz. taḥqīq Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fihr. Al-Qāhirah : Maṭbaʻat al-madanī bi-al-Qāhirah-Dār al-madanī bi-Jiddah.

[15] Ḥamzah, Ḥasan (2009). "al-tarjamah al-Baḥth". Al-ʻArabīyah wa-al-Tarjamah, al-ʻadad al-Awwal, Ṣ. 6-36.

[16] Al-Ḥumaydān, ʻAbd Allāh ibn Ḥamad (2003). "wāqiʻ al-tarjamah wa-al-Taʻrīb fī al-waṭan al-ʻArabī". Majallat ʻAlāmāt fī al-naqd, Yūniyū, al-ʻadad raqm 48, mujallad 12, Ṣ. 479-506.

[17] Khasārah, Mamdūḥ (1994). Al-Taʻrīb wa-al-tanmiyah al-lughawīyah. Dimashq : al-Ahālī.

[18] Khalaf al-ʻAlī, Kāẓim (31-08-2012). "madkhal ilá naẓarīyāt al-tarjamah : al-marḥalah al-kilāsīkīyah". Ṣawt al-ʻIrāq.

[19] Driss Muḥammad Amīn, (2019). Al-mithāl fī al-tarjamah : māhīyatuhu, anwāʻuh wa-khaṣāʾiṣuhu, Majallat al-tarjamah wa-al-lughāt, Traduction et langues al-mujallad 18 alʻdd1, Ṣ. 283-313.

[20] Rushdī, Ḥasan (1993). "ʻAwf ibn Mulḥim al-Khuzāʻī : ḥayātuhu wa-shiʻruh (t 220h, 835m)". Muʾtah lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, al-mujallad al-thāmin, al-ʻadad al-Thānī, Ṣ. 11-68.

[21] Alzaraqāny, Muḥammad ʻAbd al-ʻAẓīm (1995). Manāhil al-ʻIrfān fī ʻulūm al-Qurʾān, taḥqīq Fuʾād Aḥmad al-Zamarlī, Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Bayrūt.

[22] Al-Zamakhsharī, Jār Allāh Abū al-Qāsim (2009). tafsīr al-Kashshāf. taḥqīq Khalīl Maʾmūn Shīḥā. Bayrūt : Dār al-Maʻrifah.

[23] Al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr (1987). Miftāḥ al-ʻUlūm. taḥqīq Naʻīm Zarzūr. Bayrūt : Dār alʻlmyyh.

[24] ʻAbd al-Muṭṭalib, Fuʾād (1998). "al-tarjamah wa-al-Baḥth al-ʻIlmī". ʻAlāmāt fī al-naqd, mj7, J 29. Jiddah, al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī, Sibtambir, Ṣ. 79-114.